وتصل البلاغة إلى ذروتها في كنف إعجاز القرآن على يد الامام الجرجاني (٤٧٢ هـ) صاحب (دلائل الاعجاز) و (أسرار البلاغة) ونحن لن نتعرض للكتابين هنا من وجهة نظر بلاغية خالصة ، لأن لذلك محلاً آخر في بحثنا ، ولكننا ننظر فيهما إلى البلاغة من خلال الكشف عن فكرة الاعجاز فنرى أن إعجاز القرآن والتعليل له هو الغرض الذي أملى على الجرجاني تأليفه ، وأن هذه الفكرة التي حدت بالعلماء السابقين إلى التأليف هي نفسها التي وصلت بالبلاغة على يد الجرجاني إلى أن تصبح فكرة علمية أو علماً ذا كيان .

إن الامام عبد القاهر الجرجاني من خلال شرحه لفكرة (النظم) التي عزا إليها إعجاز القرآن ، ثم من خلال بيانه لـ (أسرار البلاغة) استطاع أن يبلغ القمة في التأليف البلاغي الذي يصوغ من البلاغة علماً دون أن يتنكر للذوق وحس الجمال .

إن فكرة إعجاز القرآن ما زالت تتردد في الأذهان ، وتتسع للآراء والأقوال ، حتى كان لنا منها وفيها كتابا الجرجاني الخالدان (دلائل الاعجاز) و (أسرار البلاغة) وهما الكتابان البلاغيان اللذان أصبحا عمدة كل بليغ بما يتصفان به من علم رصين، وعقل راجح وذوق مرهف ، وإحساس نافذ ، كما سنرى حين الكلام عليهما .